

(٦٠)

"تلاقى الأرواح"

كانت في المكتبة كعادتها تطالع كتبًا شتى، فوقع بين يديها كتابه عن الحياة ووصاياه لمن يريد أن يحيا، فلفت انتباهها عنوان كتابه الذى يوجهه لمن يريد أن يحيا. فما كان منها إلا أن وجدت نفسها تعيد نطقها لعنوان الكتاب بداخلها وكأنها تريد أن تستمع كل جوارحها لتلك الكلمات ... كلمات: الإرادة – والحياة – و... وكل ما يعقهما من كلمات؟!

وبدأت تتساءل وتساءل نفسها: "هل حقًا الحياة إرادة قبل كل شيء؟! أم هى إلزام قسرى لا مفر منه ولا رغبة فيه .. مثلها مثل أشياء أخرى كثيرة فى تلك الحياة قد مرت عليها إجبارًا بلا طعم أو مذاق، ومع ذلك لم تستطع الهروب منها فكانت دائمًا توهم نفسها بالاستمتاع بالقيام بها حتى تنتهى منها، فلا تلجأ بعد ذلك سوى لنسيانها جلها وكأنها لم تكن لتبدأ مرحلة جديدة من الإلزام الإجبارى والا اختيارى فى دورة تدور عليها وعلى من حولها بلا نهاية سوى الموت؟!"

لقد نطقت تلك العبارة الصادمة بلسانها بعدما أسمعت كل كيائها بها ... نطقت بعبارة: "الإرادة فى الحياة"، فمالَت نفسها لحياة لم تحبها بعد، واشتاقت لتحريك القوى الكامنة بداخلها لتستمتع بتفعيل إرادتها "الحرّة" ...

نعم "الحرّة" ... "ولم لا؟! لماذا لا تُفعل إرادتها الحرّة في حياتها فتكون هي الحياة التي تختارها لنفسها بنفسها؟"

اخترقت كلمات ذلك الكتاب كل حواسها فاجتازت معها حاجز الزمن الماضي والزمن الآتى، وكأنها وُلدت من جديد بنفسٍ جديدة ... نفسٍ تعى ما تريد، وتفعل ما تشاء بحرية كاملة، نفسٍ حرة طليقة لا تعوقها الحدود أو تعرقل مسيرتها الشدائد. وما أن انتهت من قراءة ذلك الكتاب حتى بدأت في البحث عن سيرة حياة مؤلفه، فكانت المصادفة العجيبة أن تكون ذكرى وفاة كاتبه في نفس اليوم الذى قرأت فيه كتابه عن الحياة، ليبدولها وكأنه هو الذى يهدى الناس جميعاً في كل يوم تمر فيه ذكرى وفاته سر الحياة الذى توصل إليه ولم يبخل به على أحد، ليفقهه كل حى يريد أن يحيا، فيسعى جاهداً لاختيار حياته.

لقد شعرت أنه من فرط رغبة ذلك الكاتب المخلصة في إنقاذ حياة الناس جميعاً وتحرير إرادتهم، ظلت روحه بعد وفاته ترفرف حول كلماته، لتبعث عبرها النقى الصادق في كل مكان، وتنفض شذاها في كل من له روح تلاقى مع روحه، وبالتحام كيان الأحياء مع نبض عبارات الأموات، تتجدد رحلة الحياة الحقيقية، ويظل كل من حيا بكلمة من كلمات "خالد" الحية يترحم عليه وهو يحمل معه قبس النور الذى سيهدى الجميع لجمال الحياة وقيمتها الخفية.